Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (AAJSR)
E-ISSN: 2959-6505
Volume 3, Issue 1, January - March 2025
Page No: 159-174
Website: https://aajsr.com/index.php/aajsr/index
SJIFactor 2024: 5.028 ISI 2024: 0.580 معامل التأثير العربي (AIF) 2024: 0.74

التبشير بالنصرانية وكيفية مواجهته: دراسة نقدية تحليلية

إسماعيل عاشور عبد الله بن صليل[1*]، عبد الحميد إبراهيم عبد الله سلطان[2]
[1]قسم الدعوة والإمامة والخطابة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا
[2]قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

Christian Evangelism and How to Confront It: A Critical Analytical Study

Esmail Ashur Bin Issleel[1*], Abdelhamed Ibrahim Sultan[2]
[1]Department of Da'wah, Imamate and Preaching, Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Alasmaria Islamic University, Zliten, Libya
[2]Department of Philosophy, Faculty of Arts, Elmergib University, Khoms, Libya

*Corresponding author abuwael0602@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2025-01-15 تاريخ القبول: 2024-12-12 تاريخ الاستلام: 2024-10-09

الملخص

تواجه الدعوة الإسلامية الكثير من التحديات والصعوبات من قبل أعدائها والمتربصين بها، المحاولين القضاء عليها وهدم مبادئها، ومن هذه الدعوات دعوة التنصير وتشكيك المسلمين في دينهم، وسبل إخراجهم منه إلى النصرانية، أو اعتناق أي دين غير الإسلام؛ لأجل ذلك فإن هذه الدراسة ستتناول الحديث حول التبشير بالنصرانية، مفهومه وأهدافه ووسائله، ومظاهره في العالم الإسلامي، وطرق مواجهته والتحذير منه، وذلك لغرض التوصل إلى بيان مفهومه واستعراض الأساليب والأدوات التي يمارسها المبشرون لتحقيق أهدافهم، وبيان دور الدعوة الإسلامية وعلماء المسلمين في مواجهة هذا الخطر والتصدي له، وذلك عن طريق استخدام المنهج التاريخي لتتبع تاريخ التبشير ودور الإعلام في ذلك. والمنهج التحليلي في العرض، والمنهج النقدي في المعالجة، لتتبّع صور الترويج الإعلامي الغربي وتوظيفه لخدمةً التبشير بالنصرانية. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج ومن أهمها: التبشير: حركة دينية سياسية استعمارية تسعى إلى بث أفكار الدين النصراني في بلاد الإسلام، وأن للتبشير وسائل متعددة، منها: التعليم، الخدمات الطبية، الأعمال الاجتماعية، الإعلام، المؤتمرات التبشيرية.

الكلمات المفتاحية: التبشير، النصرانية، المواجهة.

Abstract

Islamic Da'wah faces numerous challenges and difficulties from its enemies and adversaries who seek to undermine its principles and eradicate it. Among these challenges are efforts of Christian missionary work aimed at casting doubt among Muslims about their religion, attempting to convert them to Christianity or any religion other than Islam. In response to this, the study explores the concept of Christian

missionary activity, its objectives, methods, and manifestations in the Islamic world, as well as strategies for confronting and warning against it. The study aims to clarify the concept of missionary work, examine the techniques and tools used by missionaries to achieve their objectives, and highlight the role of Islamic Da'wah and Muslim scholars in countering this threat. The research employs a historical methodology to trace the history of missionary activity and the role of media in its propagation, alongside analytical and critical methods to examine and address the forms of Western media promotion used to support missionary efforts. The study concludes with several findings, the most significant of which are: Missionary work is a religious, political, and colonial movement aiming to spread Christian beliefs in Muslim lands. It utilizes various methods, including education, medical services, social work, media, and missionary conferences.

Keywords: Missionary work, Christianity, Confrontation.

المقدّمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وفضلنا على سائر الأمم والأديان، والصلاة والسلام على النبيّ العدنان، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، ومن سلك دربه واستن بسنته إلى يوم التناد؛ أما بعـد:

فإن هذا البحث يتناول موضوعا جد مهم بالنسبة للمجتمع الإسلامي، وهو: التبشير بالنصرانية وكيفية مواجهته، دراسة نقدية تحليلية، ذلك أن العالم الإسلامي صار في هذا العصر يواجه خطرا محذقا يهدد دينه وهُويته، من العمل التبشيري بالنصرانية من خلال الآلة الإعلامية الغربية الضخمة أو ما يسمى: (الإعلام الغربي)، الذي يعمل ليلا ونهارا دون توقف على نشر النصرانية، والترويج لها بشتى الوسائل والسبل بين صفوف الناس أجمعين، وبخاصة في المجتمع الإسلامي، انطلاقا من نظريتهم في أن التبشير لا يعرف حدودا، بل يعمل في كل الأقطار والقارات، بلافتات وإعلانات مختلفة متعددة، وهو ما يقوم به كثير من المبشرين والممولين للتبشير؛ بالرغم من أن كثيرا من الطرفين قد لا يقصدون نشر النصرانية لأنهم ليسوا متدينين أصلا، ولكنهم استعماريون بطبعهم.

ذلك أنه إذا كان الاستشراق في أحد معانيه يعني دراسة الغربيين للغات الشرقيين ودياناتهم وثقافتاهم وآدابهم للتأثير فيهم، وتوجيههم والتحكّم بهم؛ وهذا يقودنا لمعرفة صور الاستشراق المعاصرة، ومعرفة الوسائل التي يتّخذها لبلوغ مرامه في التأثير والتوجيه للشرق، والتحكم به عن بُعد، وبخاصة ونحن نعيش في عالم يرفع فيه الغربيون اليوم شعارات الحرّية والديمقراطية، والعلمانية واللبرالية، وغيرها من الشعارات، ويرفضون شعار الاحتلال العسكري ظاهريا للشعوب الأخرى، الأمر الذي لم يعد أمام المبشرين إلا الوسائل البرّاقة، والأيادي الناعمة للتأثير في شعوب الشرق وتوجيهها والسيطرة عليها، والتحكّم بها، من خلال التبشير بالنصرانية مستخدمين الآلة الإعلامية الغربية الضخمة للترويج لأهدافهم بوسائل وفنون وأدوات متعددة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تفشي ظاهرة التبشير بالنصرانية من خلال الإعلام الغربي، ويمكن إثارة المشكلة من خلال طرح التساؤلات الآتية:

- ما المقصود بالتبشير؟
- ما أهم أهدافه؟
- ما أهم وسائله؟
- ما أهم أساليبه؟
- ما مظاهره في العالم الإسلامي؟
- كيف يمكن مواجهته؟

أهداف البحث:

- بيان المقصود بالتبشير.
- معرفة أهم أهدافه.

- التعرف على أهم وسائله.
- بيان أهم أساليبه.
- التعرف على أهم مظاهره في العالم الإسلامي.
- بيان كيفية مواجهته.

أسباب اختيار البحث:

تتمثل أهمية البحث وأسباب اخياره في الآتي:

- أن التبشير بالنصرانية من التحديات والمخاطر التي تهدد العالم الإسلامي في هذا العصر.
- تبصير أبناء الجيل الجديد من المسلمين بالخطر المحذق بهم، والمهدد لدينه وهُويته.
- مواجهة الإعلام الغربي الذي يسعى جاهدا في التبشير بالنصرانية من خلال الآلة الإعلامية، والتسويق الإعلامي المزيف، وخاصة في رفعه للشعارات التي تدعي الحرية والديمقراطية.
- معرفة الوسائل التي يتّخذها لبلوغ مرامه في التأثير والتوجيه للشرق، والتحكم به عن بُعد.

منهج البحث:

سيتم استخدام أكثر من منهج في هذا البحث؛ حيث سيستخدم المنهج التاريخي لتتبع تاريخ التبشير ودور الإعلام في ذلك. مع استخدام المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي في العرض، والمنهج النقدي في المعالجة، لتتبّع صور الترويج الإعلامي الغربي وتوظيفه لخدمةً التبشير بالنصرانية.

حدود البحث:

تقتصر حدود البحث على تتبع جوانب التبشير في العصر الحاضر بالنصرانية في العالم الإسلامي، وكذا ما يتعلق بجوانبه المتعددة، وكيفية مواجهته.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع ومحاولة إيجاد دراسات سابقة ذات صلة بموضوع البحث نلاحظ أن هناك عددا قليلا من الدراسات التي ربطت بين الإعلام الغربي كوسيلة فاعلة من وسائل الاستشراق حديثة ومعاصرة، ومن هذه الدراسات:

أولا: دراسة (إبراهيم خلف خالدي ومصطفى و رائقة علي العمري، جامعة اليرموك، الأردن) بعنوان (الصورة النمطية لواقع الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي)، حيث هدفت الدراسة إلى التعرّف على الصورة النمطية لواقع الإسلام في الإعلام الغربي، وبيّنت مقدار التشويه الذي يتعرّض له الإسلام والمسلمين عن طريق الصور النمطية في أغلب وسائل الإعلام الغربية، والتي كانت سبباً من أسباب الخوف والنفور من كل من له علاقة بالإسلام، وهي ظاهرة قديمة متجدّدة، وأوصت الدراسة من ضمن توصياتها: أن على الجامعات أن تقدم لطلابها صوراً من الإعلام الغربي لواقع الإسلام والمسلمين.

ثانيا: دراسة (كهينة فروجن، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2017) بعنوان (الإسلام فوبيا في الإعلام المكتوب الغربي)، هدفت الدراسة إلى كيفية عرض صورة الإسلام في المجتمعات الغربية، وكيف شارك الإعلام المكتوب الغربي في الترويج لظاهرة الإسلام فوبيا وتشويه صورة الإسلام ومعتنقيه. وقد خلصت الدراسة إلى ضرورة استعمال سلاح الوعي بحقائق التاريخ في الدفاع عن الدين الإسلامي، والوعي كذلك بالواقع الذي نعيش فيه.

ثالثا: دراسة (المرزوقي علي الهادي، الجامعة المفتوحة ليبيا) بعنوان: (صور الإسلام في الإعلام الغربي) وهدفت الدراسة لبيان تأثير الإعلام وقدرته على قولبة المشاهد حسب أفكار القائمين عليه، وقد قامت الدراسة ببيان العلاقات المثلى لاستنهاض إعلام إسلامي متميّز، وجاء ضمن توصياتها ضرورة حماية الذاتية الثقافية للأمة الإسلامية، وقدّمت مقترحات للنهوض بالإعلام العربي والإسلامي.

رابعا: دراسة (ابتسام دوش، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص دعوة وإعلام واتصال، جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي، الجزائر 2017) بعنوان: (صورة الإسلام والمسلمين في القنوات الفضائية الغربية) وقد هدفت الدراسة إلى معرفة مدى إسهام القنوات الغربية الناطقة بالعربية في نقل صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين، وتحديد العوامل المؤثرة في تشكيل تلك الصورة، ومعرفة مصادر المعلومات التي تم الاعتماد عليها، وبينت الدراسة – وهي تحليلية لقناتي france24 وBBC الناطقتين بالعربية – مصادر معلومات القناتيْن موضوع الدراسة، والمصطلحات المستخدمة في وصف الأحداث

بشكل سلبي في الدول العربية، وتركيزها على أخبار الحرب والدمار الذي تعيشه الأقطار الإسلامية. وأوصت الدراسة بضرورة تحالف دول الأمة الإسلامية للقيام بنهضة سياسية يكون لها الدور في مواجهة الصورة المغلوطة عن الإسلام والمسلمين، وتوظيف البعثات العلمية لتصحيح المنظور الغربي من خلال المعاملات.

هيكلية البحث:

يُقَسَّمُ البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

فالمقدمة: تتناول إشكالية البحث، وتساؤلاته، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، وهيكليته.

المبحث الأول-التبشير، وأهم أهدافه، ووسائله، ويتضمن الآتي من المطالب هي:

المطلب الأول-المقصود بالتبشير.

المطلب الثاني-أهم أهدافه.

المطلب الثالث-وسائله.

المبحث الثاني-أساليب التبشير، ومظاهره في العالم الإسلامي، وكيفية مواجهته، ويتضمن ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول-أهم أساليب التبشير.

المطلب الثاني-مظاهره في العالم الإسلامي.

المطلب الثالث-كيفية مواجهته.

الخاتمة وتتضمن نتائج البحث والتوصيات.

المبحث الأول-التبشير، وأهم أهدافه، ووسائله، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالتبشير:

أولا: المقصود بالتبشير لغة:

وردت كلمة التبشير في المعاجم اللغة العربية بمعني بشَّرَ، يبشِّر، تَبْشِيرًا، فهو مُبشِّر، والمفعول مُبشَّر، بشَّر بخير: وعَد به، بشَّر بفكرة أو بدين ونحوهما، أيّ عَرَّف به ودعا إليه، ومنه أبشرَ يُبشر، إبْشارًا، فهو مُبشِر، والمفعول مُبشَر للمتعدِّي، أبشرَ الشخص: فرح وسُرَّ وبالشيء استبشر به، وَفلانا أخبره بخبر مفرح ويقال بشره به ورد في قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسمُهُۥ يَحيَىٰ﴾، [مريم:7]، وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُم جَنَّٰت﴾، [البقرة:25]، وقيل التبشير هو: الدعوة إلى الديانة المسيحيّة في مناطق جديدة من العالم أو هو الدعْوَة إلى الدّين محدثة.[1]

جاءت كلمة التبشير في قاموس الكتاب المقدس بـ: بشر-تبشيرا: بمعنى أبلغه الخير الطيب، أي البشارة. وكان مخلصنا يبشر الناس ويعلم داخل الهيكل وخارجه. وفي كثير من الأوقات يعظ الجموع في البحر أو على الجبل، وأوصى تلاميذه بعده بالذهاب وتبشير جميع الأمم في الأقطار المسكونة.[2،3،4]

أولا: المقصود بالتبشير اصطلاحا

يختلف مفهوم التبشير عند النصارى باختلاف الأزمنة والعصور التي شهدتها الديانة النصرانية، فهو أحيانا يأتي بمعنى إرسال رسل إلى غير المؤمنين بالإنجيل لتبليغهم برسالته، بشتى وسائل الدعوة من الوعظ وغيره، أو السعي في تبليغ تعاليم العهد الجديد لديهم، أو إيصال الأخبار التي تسرهم، وتكون سببا في قبولهم ليسوع المسيح ربّا مخلِّصاً ومعبودا من خلال إعطائهم عضوية في الكنيسة، وإذا لم تنجح تلك الوسائل فإنهم يسعون إلى صرفهم عن دياناتهم بشتى الوسائل والطرق والأساليب[5].

يؤكد هذه التعريفات ما ورد في العهد الجديد حسب قاموس الكتاب المقدس بأنه تطلق على من يقوم بشارة الخلاص، متنقلا من مكان إلى آخر، لا يستقر في مكان واحد، وهمه التجول يعظ بالإنجيل ويؤسس الكنائس باسم المسيح. ويعد المبشرون رفقاء مساعدين للرسل في أسفارهم، فكان منهم من يرافق الرسول بولس ويذهب معه لزيارة الكنائس، ويحملهم بعض الأخبار بخصوص بشرى الخلاص لتبشير الأخوة البعيدين عنه، فكان يسلمهم مهاما لإتمامها في غيبته، وقد ارتبطت البشائر الأربعة بأربعة رموز حيوانية تحمل دلالات رمزية عميقة. فرمز متى بوجه الإنسان، إشارة إلى نسب المسيح الإنساني وتسلسله من آدم. أما مرقس فرمز بأسد، وذلك للإشارة إلى طبيعة المسيح الملكية المنتصرة كما ورد في نبوة يهوذا. ولوقا رُمز بثور، في إشارة إلى

تضحية المسيح بحياته فداءً للخطايا. وأما يوحنا فقد رُمز بنسر، وذلك لارتفاع رؤيته الإلهية بالإضافة إلى تعمقه في أسرار اللاهوت.[6]

قيل التبشير: «هو الأعمال التي يقوم بها المنصرون لتنصير الشعوب غير النصرانية هذا فيما سبق، والآن فإن التبشير هو الأعمال التي يقوم بها المُنصرون لإخراج المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين».[7]

بناء على ما سبق يمكن القول بأن التبشير: حركة دينية سياسية استعمارية تسعى إلى نشر النصرانية في الدول الفقيرة علميا واقتصاديا من المسلمين وغيرهم. ويستغل أنصاره بانتشار الوسائل الداعمة لهم كحاجة الناس الاقتصادية وانتشار الجهل بينهم، وتفشي الأمراض الفتاكة، واستغلال وسائل الإعلام ذات الطابع التقليدي كالمطبوعات من الكتب والصحف، والإذاعات وما تقدمه من أفكار وسموم، ودور المؤسسات وما تقوم به من حملات اجتماعية وإنسانية في صورة الإغاثة والمساعدة لبعض الدول المتضررة والمنكوبة، وكذلك تجاهل وغفلة أولياء الأمور في تربية أبنائهم، وتساهل بعض حكام الدول الإسلامية. كما تعتمد في الوصول إلى تحقيق أهدافها على تشويه صورة الإسلام والقرآن الكريم، وكذلك تشويه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام، مستفيدين إمكاناتهم الضخمة لتحقيق مآربهم.[8]

المطلب الثاني: أهم أهداف التبشير:

إن لكل عمل يقوم به الإنسان هدفا معينا، خيرا كان أم شرا، والهدف الأساسي الذي يسعى المبشرون إلى تحقيقه، هو: قلع الإسلام من قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالعقيدة الإسلامية السمحة، ليبقى الإنسان المسلم لا صلة له بالأخلاق الفاضلة التي جسدها الإسلام. ويلخص هذه الفكرة قول صموئيل زويمر: رائد حركة التنصير في العالم الإسلامي، حيث يقول: «مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هدية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق الحميدة التي تعتمد عليها الأمم في حياتها...إنكم أعددتم نشئا لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، بالتالي فقد جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهرة، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي الشهرة يجود بكل شيء».[9]

بناء على ذلك يمكن تلخيص أهداف التبشير إلى السطور التالية:

- السعي إلى زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، وتشويه المفاهيم الإسلامية.
- الطعن في الدعوة الإسلامية وأنها انتشرت بالسيف، بخلاف النصرانية التي انتشرت بالكلمة الطيبة، والعمل الخير الذي يقوم به المبشرون.
- محاولة إخضاع العالم الإسلامي كله للعالم الغربي المسيحي ولثقافته.
- هدم الإسلام ونشر النصرانية والثقافة الغربية في صفوف الناس أجمعين ليحل محل الإسلام، ومن ناحية أخرى، القضاء على الأديان الأخرى غير النصرانية.
- إثارة الفتن والنزاعات بين الشعوب الإسلامية والعربية في علاقتها وصلات بعضها ببعض.
- الدعوة إلى استخدام اللهجات العربية لغرض القضاء على لغة القرآن وعدم تداولها بين المسلمين.
- تحويل أكبر عدد ممكن من الناس من الذين لم ينتصروا إلى أذناب تابعين، يؤمرون فيأتمرون، يوالون ولا يخالفون، بحيث يصيروا أبواقاً للغرب، مادحين لهم، مدافعين عنهم، مبررين لهم.
- تشجيع المرأة المسلمة على التفرنج والتغريب.
- التشكيك في الإسلام ببث الشبهات في العقيدة والأحكام الشرعية، وأنها لا تصلح لهذا الزمان، والسخرية من القرآن وتحريف معانيه.[10]
- تشويه التاريخ الإسلامي، والتركيز على المحطات السلبية في تاريخ المسلمين.
- الحيلولة دون عودة الوحدة الإسلامية التي واجهها الغرب أثناء الحروب الصليبية.
- إبراز الشخصيات التي لا تقاوم الأجنبي، ورعايتها وإيصالها إلى المراكز العليا في الدول كما حصل مع الرئيس "سنجور" في السنغال وغيره.

المطلب الثالث: وسائل المبشرين:

يسعى المبشرون في سبيل تحقيق غاياتهم إلى سلوك وسائل عديدة ومتنوعة؛ وذلك حسب تنوع المجالات التي يخوضون فيها، فما تركوا بابا يستطيعون من خلاله هدم الإسلام أو تشويه سمعته، وتنفير الناس عنه إلا دخلوه؛ وسنبين في النقاط التالية أهم الوسائل التي سلكها المبشرون، وتعزيزها بأقوالهم، ثم اختصار الوسائل الفرعية عن الوسيلة الرئيسية.

أولا: وسيلة التعليم:

وذلك من خلال إنشاء عدة مدارس تعليمية تبشيرية وتكون متخصصة في جميع مجالات التعليم من رياض الأطفال، والمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وبالإضافة إلى إنشاء جامعات في العالم العربي والإسلامي، في القرى البعيدة منها والقريبة، وفي المدن الكبيرة والصغيرة، وهي بهذا القدر والتوسع تغزو كافة فئات المجتمعات، وتتصل بمعظم طبقات المجتمع[11]، كما وضعوا إغراءات في مدارسهم منها التعليم المختلط، كما وفروا حوافز للمعلمين، وركزوا على تعليم اللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية. نتحف لكم بعض أقوال المبشرين:

يقول الكاردينال لافيجري الذي يعد المؤسس للجمعيات التنصيرية العصرية: «لا حاجة لنا بالدعوة للدين نفسه، بل الحاجة إلى التعليم والتمريض»[12]، ويقول مبشر: «إنَّ التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط؛ هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحيّة»[13]، يقول ميلر بروز: «لقد أدى البرهان إلى أنَّ التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان»[14] يمكن حوصلة الوسائل الفرعية لوسيلة التعليم في النقاط التالية:

- إنشاء رياض الأطفال
- إنشاء المدارس الأجنبية
- إنشاء الجامعات والكليات
- وضع المناهج الدراسية في مراحل التعليم كافة
- الكتب الثقافية والمكتبات الثقافية
- البعثات التعليمية إلى الخارج والمخيمات الطلابية
- التعليم الرسمي
- التعليم النسائي خاصة

ثانيا: وسيلة التطبيب والتمريض:

لا يخفى على أحد الأثر النفسي الذي يتركه التطبيب في المجتمع، حيث فطن المبشرون مبكرا لذلك، إضافة إلى إلحاح مجتمعات العالم الثالث إلى التطبيب والعلاج، فأقاموا بإنشاء العيادات والمستشفيات والمستوصفات، ولم يكتفوا بذلك فقط، بل عمدوا إلى إرسال قوافل طبية من أطباء وملتزمات صحية، لغرض وصول إلى قلوب سكان هذه المجتمعات حتى يشعروا أن هؤلاء المبشرين إنسانيون محبون لهم، يستحقون الاحترام والتقدير، وبخاصة أننا نعرف أن المبشرين لا يوفرون الكشف الطبي فقط، بل يقدمون معه العلاج في زمن لا توفر غالبية الدول التأمين الصحي الشامل، وكان وراء هذه الأعمال النبيلة غاية خبيثة، ألا وهي تنصير أهالي هذه المجتمعات، وبالأخص المسلمين، ولتتضح الفكرة أمام القارئ بعض أقوال المبشرين:

قول الطبيب الأمريكي المنصِّر بول هاريسون في كتابه: الطبيب في بلاد العرب «لقد وُجِدنا في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى»،[15] وقول المنصر موريسون: «نحن متفقون بلا ريب، على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين مرضى العيادات الخارجية في المستشفيات أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة الحية، وتحرص مؤتمرات التبشير على أن تكون توجيهاتها وقراراتها مؤكدة لخطورة استخدام العلاج الطبي في التبشير»،[16] تقول إحدى المبشرات «إن النساء المبشرات...عندما يبشرن بالذهاب إلى المدارس والعيادات الطبية، وزيارة قرى الفلاحين لينشرن النصرانية بين طبقات الناس»[17].

وبهذا يمكننا أن نلخص بعض الخطوات التي تم إجراؤها واستغلالها من قبل المبشرين لإنجاح أهدافهم وغاياتهم المنشودة من خلال التطبيب والتمريض على النحو التالي:

- إقامة المستشفيات التي تدار من قبل أطقم تنصيرية.

- السعي في تطوير وتميز الخدمات التي تقدمها هذه المستشفيات.
- توسع انتشار هذه المؤسسات التنصيرية وما تقوم به من خدمات علاجية في العالم الإسلامي.
- استغلال الآم البشر.
- استغلال العنصر النسوي.

ثالثا: وسيلة الإعلام وصحف:

تعد الإذاعة في هذا العصر من أهم الوسائل التي يمكن من خلالها الوصول إلى بلاد المسلمين في شتى بقاع العالم، وخاصة تلكم البلاد المستهدفة في برنامج التنصير كالشرق الأوسط وأفريقيا، فبإمكانها عبور القارات والبحار، وأن تخترق المجتمعات المسلمة وخاصة المحافظة، أو المغلقة التي لم تتمكن من فرصة السماع عن رحمة التخليص التي يزعم أصحابها أن الرب منحها في يسوع المسيح، كما أنها تعتمد على العنصر البشري المعد لهذه البرامج الإذاعية؛ فهم يرون وجوب استغلال كافة الوسائل التقنية الحديثة التي وفرها الرب حسب اعتقادهم بدقة وعنايته[18].

تعتبر الصحافة أخطر وأكبر وسيلة لخلق الرأي العام وتوجيهه أو تهيئة المجتمع للقبول ما تبثه من أخبار وآراء، لقد عمل المبشرون عبرها لتزيين صورتهم بأنهم في غاية الإنسانية، فأنشأوا جمعيات للرفق بالحيوان، وقد تطور النشاط الإعلامي للمبشرين حيث أننا نسمع اليوم تبشيرهم من إذاعات، كما نشاهدهم عبر قنوات فضائية خاصة بهم، إضافة إلى إنشاء صحفًا يومية وأسبوعية خاصة بهم.

وكذلك نجد أن المبشرين اتخذوا الصحافة المحلية كوسيلة لإعلان عن مؤسساتهم وتمرير نشاطاتهم التبشيرية، وترويجها على وفق مخططاتهم، لما لاحظوه من اهتمام المسلمين بقراءة الصحف، ولكنهم لما رأوا قلة اهتمام المسلمين بالمادة النصرانية، عملوا على إفساح لها مكاناً في صدر الصحف المحلية، كإعلانات مدفوعة الأجر[19]. لم يكتف المبشرون بإنشاء الصحف والمجلات والكتب أو دفع الأجرة فقط، بل تبنت تلك الجماعة نهجاً حضارياً في نشر المعرفة والثقافة، وذلك من خلال تأسيس مكتبات عامة مجهزة بأحدث الوسائل التي تسهل القراءة والاطلاع. وقد حرصت على تزويد هذه المكتبات بمجموعة متنوعة من الكتب تغطي مختلف المجالات العلمية والفنية. كما قامت بإنشاء دار طباعة لإصدار جريدة أسبوعية تحمل اسم "الصداقة"، بهدف نشر الأفكار والمعارف بين جمهور القراء. وعلاوة على ذلك، استغلت هذه الجماعة المكتبة كمنصة للتوجيه والإرشاد، حيث نظمت مسابقات في القراءة وحفلاً لتكريم الفائزين، مما شجع على حب القراءة والمعرفة[20].

يتفرع في هذه الوسيلة ما يلي:

- الصحف والمجلات والنشرات
- المطبوعات
- القنوات الفضائية المسموعة والمرئية
- الأشرطة الصوتية والمرئية
- الشبكة العنكبوتية

رابعا: القيام بالأعمال الاجتماعية والإغاثية:

يعلم الجميع مدى أهمية الأعمال الاجتماعية ودورها في الترابط والتألف بين الناس كما يقول علماء الاجتماع أن الإنسان بطبعه؛ يقول الخالدي ومصطفى: «من أجل ذلك يلجأ الناس عادة إلى خلق جو اجتماعي يجمع بينهم في مناسبات مختلفة: في الحفلات الرياضية والخطابية، وفي الأندية الأدبية والسياسية، وفي الاتصال فيما بينهم من طريق الصحف والمجلات وأعمال البر والإحسان، وفي الاجتماعات المختلطة بين الجنسين رجالاً ونساء»[21].

لقد أدرك المبشرون ذلك واستعملوها كوسيلة من وسائل التبشير، حيثما تقع الكوارث الزلازل والفيضانات والحروب نراهم أسرع الناس إلى نصب مواقع لهم، حتى لو كانت خياماً في العراء، يقدمون المساعدات قبل أن تصل إلى الدول نفسها، وذلك ليستثمروا حاجة الناس الملحة، ورغبتهم الشديدة في رفع الأذى والضرر عن أنفسهم، وبهذا يتحول غالبية من امتدت إليهم أيدي المبشرين إلى مادحين ومحبين، وإذا كانوا بغير دين فلن يجدوا أمامهم سوى اعتناق النصرانية لا قناعة، ولكن اعترافاً بفضل المبشرين؛ لأن النفوس قد جبلت على حب من أحسن إليها.

وكثيرا ما نجدهم يرفعون شعارات رنانة كحقوق الإنسان والرفق بالحيوانات، وإنصاف العمال، والطفل للمدرسة لا للعمل، وتعزيز دور المرأة في المجتمع وغيرها، وفي الحقيقة لم تكن هذه الشعارات غرضها الإصلاح الاجتماعي، بل لاستمالة المسلمين وحلّ التماسك الاجتماعي، وفكّ الترابط الأسري ليتسنى لهم التسلل إلى المجتمع الإسلامي لدسّ السم فيه، وإفساد فتيانه وفتياته، وجلهم ينخرط في الأمور الرذيلة المحرمة شرعا، واستعملوا في ذلك عنصرين أساسيين المال والنساء، بطريقين:[22] عن طريق تغيير المراد من المفاهيم الأخلاقية واستبدالها بالنظريات التي تدعو إلى الإثارة والجنس، وعن طريق البرامج الفنية والأدبية التي تعرض في الوسائل الإعلامية المختلفة. يمكن حصر الوسائل المساندة لهذه الوسيلة في النقاط التالية:

- حل مشاكل السكن الطلابي، وتقديم المساعدات المالية لهم.
- إنشاء الجمعيات والنوادي ذات الاهتمامات والأنشطة المتعددة.
- الاهتمام بالجانب التبشيري، واستغلال الصحافة لتوسيع دائرة البرنامج.
- تكثيف نشاط الكشافة واستغلال المخيمات في التنصير.
- تقديم الدعم الكامل للمسجونين وزيارتهم، وتقديم كل سبل الدعم التي يحتاجونها.
- الاعتناء بالمرأة وتقديمها كمبشرة في صفوف نساء المسلمين.
- بدور الضيافة والملاجئ للكبار ودور لليتامى واللقطاء.
- المساهمة في مجالات التنمية المختلفة، وتقديم الخدمات الإغاثية الإنسانية.
- إنشاء أماكن ترفيهية وحشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال[23].

خامسا: إقامة المؤتمرات التبشيرية:

من الوسائل التي اعتمد المبشرون عليها، هي إقامة مؤتمرات تبشيرية في مختلف ربوع العالم الإسلامي، على سبيل المثال لا الحصر نسرد للقارئ العزيز المؤتمرات التالية:

- مؤتمر أدنبرج سنة 1910م في إنجلترا.
- مؤتمر بيروت وقد عقد سنة 1911م.
- مؤتمر لكنؤ سنة 19913م في الهند.
- مؤتمر القدس الأول الذي عقد سنة 1924م.
- مؤتمر لبنان عقد سنة 1924م.
- مؤتمر قسطنطينية بالجزائر في عام 1924.
- مؤتمر القدس الثاني الذي عقد سنة 1935م.
- مؤتمر القدس الثالث الذي عقد سنة 1961م.
- مؤتمر تونس وعقد في عام 1931.
- مؤتمر أمستردام في هولندا عام 1948.
- مؤتمر نيودلهي في الهند عام 1961.
- مؤتمر جاكارتا في إندونيسيا 241975.

ومن ضمن التوصيات التي توصلت إليها هذه المؤتمرات ما يلي:

- وجوب تغيير الفكرة السائدة عند المسلمين المتمثلة في كون النصارى أعداء لهم.
- وجوب تبشير المسلمين بإرسال رسل من المسلمين أنفسهم؛ ولكي يقطع الشجرة أحد أعضائها.
- من الضرورة العاجلة تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير.
- إسهام النساء في برنامج التبشير لتنصير النساء المسلمات وأبنائهن.

إضافة إلى ما سبق هناك وسائل أخرى يسعى المبشرون عن طريقها للوصول إلى أهدافهم، ومن بينها:

- الدعوة إلى القومية والإقليمية لتفكيك وحدة الأمة الإسلامية والعربية ـ
- الدعوة إلى اللغة العامية بدل لغة القرآن الفصحى لتقويض الترابط اللغوي بينهم.
- العزف الموسيقى بين شعوب العالم الإسلامي.
- عرض أفلام سينمائية على المسلمين.
- تأسيس إرساليات تبشيرية طبية.
- تعلم المبشرين اللهجات المحلية العامة نظريا وعمليا.

- التعلم بالقرآن الكريم والتعمق فيه وعلومه[25].

المبحث الثاني-أساليب التبشير، ومظاهره في العالم الإسلامي، وكيفية مواجهته، ويتضمن ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: أهم أساليب التبشير.

قد لا يكون هناك فرقا شاسعا بين وسائل التبشير وأساليبه؛ لذلك نجد زمرة لا بأس بها تدمج بين الوسائل والأساليب نظرا للتقارب بينهما، بينما الآخرين يكتفون بتسمية الوسائل الأساليب، والعكس صحيح، قسم الشيخ محمد عمار الأساليب إلى ثلاثة أنواع: الأسلوب المباشر عن طريق المنصرين والدراسات الإنجيلية، والأسلوب الشامل عن طريق التعليم مثل المدارس والكليات والجامعات، والأسلوب غير المباشر أو أسلوب التسلل كالإعلام بجميع أنواعه، وبتتبع شرحه بها نجده ركز كثيرا على التعليم والإعلام. بينما أرجعها علي محمد جريشه إلى نوعين: أسلوب التغيير الاجتماعي وأسلوب التغيير السياسي، وهو أيضا ركز الحديث عن التعليم والعلمانية والإعلام والقانون وتحرير المرأة من الجانب الاجتماعي والحركات القومية، أضف إلى ذلك تفكيك وحدة الأمة الإسلامية والحروب التي شهدها العالم الإسلام في الفترات الأخيرة، أما عبد الجليل شلبي أوصلها إلى سبعة، وهي:

أولا-الغزو المسلح:

لا يخفى على أحد ما يمر به بالعالم الإسلامي وبالأخص الشرق الأوسط في الآونة الأخيرة من صراعات، وما تشهده من «التيارات السياسية المعاصرة تجد في كبت الإسلام...والدول الكبرى الآن لا تبالي أن تلوث سمعتها بالتعصب، وتاريخها بالظلم، وأيديها بدماء المسلمين الأبرياء»[26]، على سبيل المثال: فإن أمريكا من أكبر وأقوى دول العالم نرى مساندتها لإسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني خاصة، والمسلمين عامة، فإن إسرائيل هدمت مساجد ودور المسلمين وأحرقت المسجد الأقصى، وهي آخذة في هدمه، وأمريكا راضية عما تعمل ، وبجانبها إنجلترا وألمانيا وفرنسا.

ثانيا-توحيد جهود الجمعيات التبشيرية:

أظهرت الدراسات أن العديد من الجمعيات التبشيرية، ومنها جمعية التبشير والكنيسة الإنكليزية واتحاد الكنائس، كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسياسات الاستعمارية للدول الغربية. فقد ساهمت هذه الجمعيات في نشر الثقافة الغربية والقيم المسيحية في المناطق المستعمرة، وذلك بالتزامن مع التوسع الاستعماري[27]، وكذلك في مؤتمر ادنبرج الذي كان يتكون من تسع لجان، فقد خاضت اللجنة الثامنة في كيفية الاشتراك وتوحيد أعمال التبشير[28].

ثالثا-التبني بالأطفال وتعليمهم:

من الأساليب التي يتبناها المبشرون تبني الأطفال وتعليمهم مبادئ المسيحية وتنشئتهم عليها، وتقديم لهم اللوازم الحياتية من غذاء وملبس وألعاب، ذكرت إحدى المبشرات في مجلة المختار: أن الأنشطة الخيرية التي استهدفت الأطفال في مناطق مثل مصر والجزائر قد أدت إلى تغييرات اجتماعية وثقافية عميقة. فمن جهة، ساهمت هذه الأنشطة في تحسين أوضاع الأطفال المعيشية، ومن جهة أخرى، أثارت تساؤلات حول تأثيرها على الهوية الثقافية والدينية للأطفال المستفيدين. وقد أظهرت الدراسات أن مثل هذه الأنشطة قد تؤدي إلى تغييرات في قيم الأطفال ومعتقداتهم[29].

رابعا-الاستكثار من ترجمة الكتاب المقدس:

نجح المبشرون بأسلوب ترجمة الكتاب المقدس، وإرساله إلى الشعوب البدائية والقبائل المنسية، وقد استطاعوا وضع أبجديات يتفاهمون بها عن هؤلاء البدائيين، ويدخلونهم المسيحية، كما استطاعوا الوصول حوض نهر المسيسبي، وأوساط أستراليا، وبعض الجزر النائية في المحيطات[30]، لم يكتفوا إرسال هذه الترجمات إلى الأمم البدائية فقط، بل حاولت نشر ما يتعلق بالكتب المقدسة باللهجات اللبنانية والجزائرية، وغيرها.

خامسا-السعي على تحويل أبناء المسلمين الذين يعشون في الغرب:

هذا الأسلوب خطير، لأن كثير من الآباء الذين يعيشون في الغرب يدخلون أبناءهم في مدارس تلك الدول منذ طفولتهم، فيتلقون مبادئ المسيحية وينشؤون عليها، وهم لا يعرفون عن الإسلام ومبادئه وأفكاره شيئا، أضف إلى ذلك التزاوج بين المسلمات والمسيحيين والمسلمين والمسيحيات؛ وبالتالي ينشأ الأطفال في الثقافة المسيحية، مما يجعلهم يتحولون تلقائيا إلى المسيحية[31].

سادسا-الطعن في الإسلام وخلق الافتراءات عليه:

ولعل أخطر أساليب المبشرين زعزعة إيمان المسلم، وجعله يشك في عقيدته، والرسالة التي جاء بها سيد المرسلين ﷺ، وذلك ببث الشبهات والاتهامات والأكاذيب والأباطيل بين أتباعهم لمنعهم من الدخول في الإسلام، وفيما يلي بعض أقوال المبشرين:

القول إن الإسلام قد انتشر بالسيف، يقول نيلسون: «أخضع سيف الإسلام شعوب إفريقية وآسيا شعباً بعد شعب»، ويقول لطفي ليفونيان: «إن تاريخ الإسلام سلسة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح»[32]، والقول لقد كان محمد عابداً للأصنام قاله ف. ج. هاربر[33]، وقال أديسون إن محمد كذاب مكة، وزعم المبشر نلسن بأن الإسلام مقلد، وأن أفضل ما فيه مأخوذ من النصرانية، وما تبقى منه مأخوذ من الوثنية[34]، أما هنري جست يقول: إن المسلمين لصوص وقتلة ومتأخرون، ومن أقوالهم: إن الإسلام قد ظلم المرأة بالسماح للرجل بأربع زوجات، ونقص عن حقها في الميراث[35]. وغير ذلك من الأقوال لا يسع المكان لسردها، وغرضها تشويه سمعة الدين الإسلامي وسماحته، لتنفير الناس عن هذا الدين الحنيف، وصد أتباعهم على اعتناقه، لكن حاش الله بأن يقفوا زحف الإسلام أو أمام إرادة الله والله متم نوره ولو كره المشركون. ويمكن أن نضيف إلى هذه الوسائل ما يلي:

- استمالة ضمائر الناس بالمحبة والمجاملة، يقول القس: فقد عمد اليسوعيون إلى أسلوب الرشوة لاستمالة الناس إلى النصرانية في شرق الأردن، حيث اتخذوا سماسرة بجلب لهم الذين كانوا يرضون أن يبدلوا دينهم، وكانوا يدفعون عن كل رأس عشرة قروش ذهبا[36].

-استغلال الضعف والفقر، كإنشاء مشاريع تعليمية واجتماعية وإغاثية إنسانية، كما سبق إشارة.

-استغلال النساء، لقد اهتم المبشرون بالمرأة المسلمة لمكانتها في الحياة الاجتماعية، والوصول إليها وصول إلى الأسرة كلها، بل الوصول إلى قلب الأمة، ليبثوا تعاليمهم التبشيرية في الأسرة المسلمة عن طريقها، ولا يخفى كيدهم واعتقادهم قوة تأثير المرأة المسلمة على أبنائها.

- من الأساليب المتبعة من الخلال التطبيب، أن يذكر بعضهم الإنجيل للمريض بأسلوب لا يدعو إلى الحدة والجفاء في المناقشة أو يقرأه عليه بطريقة سهلة ومبسطة، ثم يستعمل أسلوب الإلحاح والتكرار حتى يتحول المسلم إلى نصراني[37]، ومن خلال التطبيب وحالات الولادة يقوم المبشرون بتسمية مواليد المسلمين بأسماء يختارونها هم؛ مثل "فادي" ونحوه، مما له دلالات دينية، وهمهم الأساسي إبعاد الأسماء الإسلامية عن الأطفال.

المطلب الثاني-مظاهره في العالم الإسلامي:

لا شك أن التبشير قد تحقق بعض أهدفها وإن لم تكن كما كان يتمناه الأعداء، وفي هذا المطلب نحاول لملمت أثر التبشير في العالم الإسلامي، وقبل الحديث عن ذلك نضع أمام القارئ بعض مجالات أنشطة المبشرين.

أولا-مجالات التبشير:

- التحدي المباشر للإسلام بإقامة المناظرة لبعض علماء المسلمين. وقد بدأ هذا التحدي القس "فاندر"، وتصدى له في الهند الشيخ رحمة الله الهندي، وقامت بينهما مناظرة علنية في مدينة أكبر آباد، وقد أسفرت نتائج هذه المناظرة على اعتراف القس "فاندر" بوقوع التحريف على الإنجيل.
- الخدمات الصحية: وذلك في إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات الطبية التنصيرية، وتوجيه الأطباء المتنقلين.
- بناء الكنائس في كل ربوع العالم الإسلامي، بغض النظر عن عدد النصارى فيه.
- المشاريع التعليمية التبشيرية في كل البلاد الإسلامية من الروضة إلى التعليم العالي والبحث العلمي؛ ومن ذلك إقامة الروضات والمدارس والجامعات لأبناء المسلمين والمسلمات لجذبهم إلى النصرانية، أضف عليه إنشاء المراكز والمعاهد للبحوث العلمية ولإعداد المنصّرين المتخصصين بتنصير المسلمين.
- إنشاء المشاريع للخدمات المجتمعية المتنوعة كدور للأيتام وللعجزة، وغيرها.
- القيام بعلاقات ذات صلات ودية اجتماعية يصحبها تقديم الصداقات والمساعدات، وكذلك زيارات للعائلات المسلمة، والاهتمام بالجانب الاقتصادي والثقافي.

- استغلال الأزمات والكوارث الفردية وأصحاب الأزمات المختلفة، والقيام بالبحث عن أطفال المسلمين الذين فقدوا آباءهم أو أسرهم أثناء الحروب والفتن والمجاعات والكوارث الطبيعية، ثم إيوائهم لتنصيرهم.
- الإعلام باختلاف أنواعه المرئية والمسموعة أو المكتوبة: ويتمثل ذلك في البث التلفزيوني والإذاعة، ونشر الصحف اليومية أو الأسبوعية التي تدعو إلى النصرانية سواء بصورة علنية ظاهرة، أو بصورة خفية متوارية.
- طبع وتوزيع المطبوعات والمنشورات الداعية إلى النصرانية، يستغلون إمكاناتهم الواسعة لطبع ملايين الكتب والرسائل للدعاية التنصيرية والمنشورات، وتوزيعها بين صفوف المسلمين.
- الاهتمام بالمجتمعات الإسلامية النامية والنائية، واستغلال فقرها وحاجاتها الماسة؛ كتقديم الغذاء والدواء والكساء، والعمل الخيري، وذلك لتنصيرهم عن طريق أرزاقهم.
- تأسيس منظمات سرية تعمل في الخفاء في العالم الإسلامي كافة، وهدفها نشر الأفكار المتطرفة والمعادية للإسلام.
- تأليف الكتب النصرانية بأساليب مختلفة سهلة الاستيعاب، مع مراعات عقول الناس من مختلف أعمارهم البيئة المحيطة بهم وكذلك ثقافتهم.
- استغلال الفنادق العالمية ونشر المسيحية لنازليها من المسلمين، وكذلك أسواق التجارة العالمية.
- مجال المسابقات بأنواعها، حيث يكون مضامينها توجب معرفة الموضوعات التي تخدم التبشير، وتُرصد لها جوائز مالية تدعم المشاركة فيها[38].

ثانيا-مخلفات التبشير وآثاره في العالم الإسلامي:

كما مر سابقا أن هدف التبشير الأساسي هدم الإسلام واقتلاعه من نفوس المسلمين، لتكون دول العالم الإسلامي تحت سيطرتهم، ولتحقيق هذا الهدف المنصوب «تنفق الأموال الطائلة على إنشاء مدارسها ومعاهدها وجامعاتها ومستشفياتها وملاجئها، وجمعياتها ونواديها ومؤتمراتها وكتبها وصحفها ونشراتها، وصدقاتها، وهباتها، إلى آخر ما هنالك من أموال تصرف البلاد الإسلامية»[39].

فمن المعلوم أن القيام بمثل هذه المؤسسات المستهدِفة ألّا تمشي سدى أو هباء منثورا كليا، بل ترك التبشير آثارا سلبية في العالم الإسلامي بنجاحه في تشويه الإسلام، ونقل بعض الناس إلى النصرانية، كما نجحت في إخضاع المناهج الدراسية في أغلبية الدول الإسلامية على حسب رغبته، وتفكيك وحدة الأمة الإسلامية، وسقوط الدولة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك، كما نجحت في خلق الحدث العربي الحركات القومية التي تعمل على غرار الدول الأوروبية بعد أن تسلمت مقاليد القيادة في كثير من الدول الإسلامية، ولتوضيح صورة ذلك نضع أمام القارئ ما يلي:

ما أشار إليه سميح عاطف الدين إلى تشويه المبشرين حيث يقول: «إن التبشير نجح في تشويه صورة الإسلام في نفوس البعض، ونجح في أنه جعل المسلمين في موقف المدافع وهو موقف الضعف»[40،41].

أما الخالدي ومصطفى وضح أن التبشير رغم إخفاقه إلا أنه في قنص بعض المسلمين من الإسلام إلى النصرانية في قوله: «لا شك في أن المبشرين قد أخفقوا في البلاد الإسلامية في هدفهم الذي كانوا قد أعلنوه منذ مطلع العصور الحديثة: نقل الناس إلى النصرانية اعتقادًا وعملاً، لقد انتقل أفراد قليلون وجماعات قلائل إلى النصرانية في عدد من البيئات التي يسودها الجهل والفقر، وتسيطر فيها الدول الأجنبية المستعمرة، وخصوصًا في الشرق الأقصى وفي أواسط أفريقيا وغربيها. غير أن هؤلاء المرتدين كانت الكثرة الغالبة منهم من غير المسلمين»[42]، ويشكل تحول بعض المسلمين إلى المسيحية في الهند، كما روى عبد الجليل عن المبشر روبرت بروس، حدثًا تاريخيًا مثيرًا للاهتمام. وقد أثار هذا الحدث جدلاً واسعًا في الأوساط الدينية والسياسية، حيث رأت فيه الكنائس الغربية، ولا سيما الإنجليزية والإيرلندية، دليلًا على نجاح جهودها التبشيرية. ومع ذلك، فإن دوافع هؤلاء المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية، والأسباب التي دفعتهم إلى اتخاذ هذا القرار، تحتاج إلى دراسة أكثر عمقًا لفهمها بشكل كامل[43].

لقد قام المبشرون بوضع مناهج التعليم والتثقيف على أساس فلسفة الحضارة الغربية، ثم جعل الشخصية الغربية هي الأساس الذي تؤخذ منه الثقافة والفكر، وأن تاريخه ونهضته وبيئته هي المصدر المعتمد عليه في تغذية عقول المسلمين حتى فيما يتعلق بعلوم الدين الإسلامي والتاريخ، فالدين الإسلامي والعبادات والأخلاق يعلم

في المدارس الإسلامية كمادة روحية أخلاقية من وجهة النظر المادية الدنيوية، كما هو مفهوم الغرب عن الدين والأخلاق، فحياة الرسول الله ﷺ تدرس منقطعة الصلة عن النبوة والرسالة، وتدرس كما تدرس حياة نابليون، والتاريخ الإسلامي تلصق به العيوبُ التي يخترعها أعداء الإسلام بدافع العداوة، وسوء الفهم، وذلك بإطار النزاهة التاريخية والبحث العلمي ونبت من غرس ثقافة تبشيرية بين مثقفي المسلمين نتج عنه تعلم التاريخ والتأليف فيه على الأسلوب والمنهج التبشيريين[44]، على سبيل المثال فإن عدد المدارس التي أنشأها الغربيون في لبنان بلغ إلى مائتي مدرسة ما بين أمريكية وفرنسية وإنجليزية وروسية وألمانية وإيطالية، وأقدمها مدرسة عينطورة، أما أهمها مدرسة القديس يوسف التي تعرف الآن بالجامعة اليسوعية، وقد أنشأها المرسلون اليسوعيون في غزير عام 1748م، ثم نقلت إلى بيروت عام 1874م، والمدرسة السورية الإنجيلية، والتي عرفت الآن بالجامعة الأمريكية، وقد أنشأها الأمريكيون في بيروت عام 1866م[45].

وفي سياق المشاريع الاستعمارية، لعب التعليم دورًا حاسمًا في نشر الثقافة الغربية والقيم المسيحية في العالم الإسلامي. فقد استثمرت القوى الاستعمارية بكثافة في إنشاء المدارس والجامعات، مثل كلية روبرت بإسطنبول، والجامعة الأمريكية ببيروت والقاهرة، بهدف تربية أجيال جديدة تتبنى القيم الغربية وتقبل المسيحية. وقد ركزت هذه المؤسسات التعليمية على تقديم مناهج دراسية تهدف إلى تقويض الهويات الثقافية والدينية للسكان المحليين، ليكون التعليم وإنشاء المؤسسات التعليمة وسيلة لنشر تعاليم النصرانية واجتذاب أكبر عدد ممكن إليها[46].

وقد قامت هذه المؤسسات بدورها المعد لها قيامًا فعالًا في خدمة الأغراض الاستعمارية، وأهما بث روح الولاء للغرب، وإبعاد الجيل الحاضر رويدًا رويدًا عن شخصيته الإسلامية، وعن تاريخه الإسلامي المشرق، وعن ثقافته الدينية التي تحدد للفرد مقومات كيانه الحضاري المستقل المتميز[47].

وقد شهدت العديد من المجتمعات الإسلامية في العقود الماضية ظاهرة تبني النخب المثقفة للثقافة الغربية، واعتبارها نموذجًا للتقدم والحداثة. وقد ساهم في ذلك الاستعمار الثقافي الذي فرضته القوى الغربية، والذي تضمن نشر الأفكار والمعارف الغربية، وتقويض الهويات الثقافية المحلية. وقد أدى هذا إلى صراع بين الهوية الإسلامية والهوية الغربية داخل النخب المثقفة، مما أثر على نظرتها إلى التراث الإسلامي، بل وصل بهم إلى القول إن الحضارة الإسلامية سبب تأخرهم وتخلفهم عن ركب الحضارة التي يقودها الغرب[48].

حقق المبشرون هذا الغرض على سبيل ذكر أحمد سعد الدين عن سعي بريطانيا في كسر حدة بين العراق وسوريا والسودان، ومن جانب آخر بين العراق ومصر وشبه الجزرة العربية، ويقول: لما وصلت أخبار القسيس جروفر إلى المسئولين عن الإرساليات المسيحية في إنجلترا، وتأكد لهم نجاح العمل التنصيري في العراق، أخذوا في إرسال عدة إرساليات تنصيرية متوالية، حيث عمدت بريطانيا التركيز على العراق ليكون لها جبهة قوية هناك، تواجه الوحدة التي قامت في عهد محمد علي بين مصر وسوريا والسودان وشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى كانت تهدف إلى قطع الصلة بين العراق ومصر، وأكثر من هذا استطاعت تلك الإرساليات أن تقوض هذه وتهدمها، وأيضا استغلت هذه الإرساليات جماعات البياطرة للإيقاع بينهم وبين المسلمين وغير المسلمين، وإيجاد فتن ومذابح دموية، على غرار: النسق الذى اتخذه النفوذ الاستعماري في لبنان بين الدروز والموارنة عام 1860م[49].

علق عبد الرحمن حبنكة على دسائس أعداء الإسلام بقوله: «وعلى هذا النسق تسير أقوالهم التعليمية، ونصائحهم، وتوجيهاتهم، وتوصياتهم، لعناصر العمل في مؤسساتهم وجمعياتهم، وللقوى العسكرية والسياسية الاستعمارية، وذلك لتلتقي الأجنحة المختلفة المهمات على هدف تفتيت وحدة المسلمين، وتجزئة دولهم إلى دويلات صغيرة لا حول لها ولا طول، مع تمكين الخلاف والفرقة بينها، وإثارة النعرات القومية والإقليمية والطائفية والمذهبية، وشحنها بالمقدار المدمر من الحقد والكراهية والبغضاء، ومدها بمختلف عناصر الخلاف وتباين المصالح»[50].

المطلب الثالث كيفية مواجهة التبشير:

الحديث في الوسائل أو الأساليب أو المنهج لمجابهة التبشير قد يطول لكثرتها، لأنه يحتاج إلى جهد كبير من شرائح المجتمع الإسلامي كافة، كل حسب قدرته ومكانه العلمي أو العملي أو القيادي، وغيره.

لقد ذكر محمد ناصر الشثري في كتابه الهجمة التنصيرية بعض الخطوات لمواجهة خطر التبشير، وكذلك الباحثة أمل عاطف محمد في رسالته الماجستير المعنونة بالتنصير في فلسطين في العصر الحديث، أما الشيخ سلمان العودة أوصلها إلى تسع وخمسين وسيلة، نلخصها في السطور التالية:

- تكثيف المراقبة لنشاطات المنصرين، والتفطن لمخططاتهم، وعلى العلماء والمختصين التبليغ عن كل ما يكتشف من ذلك أو يشك في أمره.
- توسيع نشاط الدعوة إلى الله تعالى في أوساط النصارى من المقيمين في بلاد الإسلام وغيرهم.
- تعليم وتوعية المسلمين بخطر التبشير وملابساته لحمايتهم من التأثر بالمبشرين.
- بناء المراكز والمؤسسات الاجتماعية الإسلامية المتكاملة التي تحتوي على المساجد والمدارس والمكتبات والجامعات، وذلك كتأسيس المدارس الخيرية الأهلية التي تعنى بالتربية الإسلامية.
- دعم الإعلامي الإسلامي وتوسيع أنشطته، واستخدام الوسائل الجذابة والمؤثرة لدعوة الناس إلى الإسلام.
- إيجاد لجنة أو جمعية لدراسة موضوع التبشير ومتابعته وإعداد الدراسات والتقارير بشأنه، وحفظ الوثائق المتعلقة به، وإصدار النشرات الدورية المهتمة بهذا المجال، وإقامة مؤتمر إسلامي عالمي سنوي عام يناقش موضوع التبشير من جميع جوانبه، وتقدم فيه الدراسات والبحوث، وتصدر منه التوصيات والاقتراحات، أو إعداد الرسائل والأطروحات الجامعية عن التبشير وأهدافه وتاريخه وخططه والجديد فيه.
- فتح شعبة في مكاتب الإفتاء لمواجهة التبشير في البلاد الإسلامية: والاستعانة بالخبراء والمختصين، وبالأخص المتقنون للغات الأجنبية، ويقع مسئوليتهم إدارة الحوارات والمناقشات مع أعداء الإسلام، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وإبراز الجوانب المهمة التي ينبغي أن يعرف بها غير المسلمين.
- تسهيل مهمة الاتصال بالعلماء والدعاة والمكاتب الإسلامية، ومكاتب الدعاة والعلماء وطلبة العلم، والمراكز الإسلامية، وذلك عن طريق نشر العناوين وأرقام الهواتف وأرقام الفاكس وغير ذلك.
- إنشاء منشآت طبية خيرية إسلامية كالمستشفيات والعيادات الأهلية الخيرية، واستجلاب أطباء وطبيبات المسلمين؛ لحماية الناس من خطر المبشرين، ويصاحب ذلك جهد دعوي لعودتهم إلى الله تعالى، ودعوتهم إلى التوبة من الذنوب والمعاصي والآثام.
- محاربة البضائع التبشيرية، أي بضاعة تمت إلى التبشير بصلة، كبعض لعب الأطفال، والأدوات المدرسية، والملابس فضلاً عن برامج الكمبيوتر والأشرطة والمواد التعليمية، وتشديد المراقبة عليها.
- تشكيل لجان متخصصة لمحاربة المنكرات في كل بلد أو شركة أو حي، وتقع عاتقها محاربة العادات النصرانية في الأعياد والمناسبات الاجتماعية وغير ذلك، وبالتعاون مع الجهات المختصة في ذلك.
- منع إنشاء مدارس أجنبية في بلاد الإسلام، وفي حالة افتتاحها فيجب إخضاعها للرقابة الصارمة والإشراف المستمر من الجهات التعليمية، ومنع تلك المدارس والقائمين على القيام بما يخالف الإسلام.
- مقاومة البث الإعلامي التخريبي والتبشيري، ومنع بث المسلسلات التي تحمل أفكاراً تنصيرية، أو صلبان أو حفلات راقصة أو خمور في القنوات التلفزيونية، ومنع ذلك كله في الأفلام.
- العناية بالمسلمين الجدد، كاحتضانهم وتعليمهم والتعاطف معهم بحسن الخلق والمعاملة، ونعمل على الاتصال به بالهدية، بالكلمة الطيبة، بالزيارة، ومحاولة تعميق الإسلام في قلبهم، بلا مضايقة أو عجرفة.
- ضرورة وجود كوكبة من الدعاة المخلصين المتفرغين للدعوة الإسلامية والسعي إلى معرفة أحوال المسلمين واحتياجاتهم وما يهدد الدعوة الإسلامية، ورسم سبل العلاج والمساهمة فيها.
- تحصين الشباب المسافرين إلى الخارج من مخاطر التبشير، سواء كانوا مسافرين للدراسة أو العمل، وذلك بالعلم الشرعي الصحيح وخوف الله -عز وجل-الذي يقاومون به الشبهات والمغريات والشهوات، وتزويدهم بمعلومات كافية عن مخططات النصارى وأهدافهم، وتعميق الأهداف الإسلامية لديهم، ليعودوا أوفياء لدينهم وأمتهم مخلصين لما ذهبوا من أجله.
- الحذر من التيارات العلمانية والحداثية التي تدعو إلى التغيير المستمر، وينبغي بيان حقيقتها وتوجهاتها الفكرية والأدبية وعلاقتها بالتبشير، ولأنها تاريخيا حليفة للنصرانية.
- إصلاح مناهج التعليم، بما يخرّج طالبا مؤمنا مدركا من هو صديق وعدو، مرتبطا بإسلامه وتاريخه ومجتمعه، موقنا بعقيدة الولاء والبراء، المبغض لليهود والنصارى والمشركين.

- حماية شباب المسلمين وفتياتهم من الانحراف السلوكي المستهدف من الغرب عبر وسائل الإعلام الضخمة والمتعددة، ورعايتهم من خطر المؤسسات التبشيرية المختلفة ونواديها ومخيماتها ومعسكراتها ونشاطاتها، وبلائها الذي يهدد مستقبلهم، والحرص على تصحيح تربيتهم، وكذلك حمايتهم من الاختلاط بغير المسلمين.
- مقاطعة النشاطات المخالفة للشرع: سواء كان وراءها النصارى أو غيرهم؛ مثل المدارس الأجنبية والمؤسسات المشبوهة وبيوت الربا والإعلام الفاسد، كأشرطة الفيديو، والبث المباشر، والصحف والفضائيات المنحرفة وغير ذلك.

الخاتمة

وفي نهاية هذ البحث نعرض خلاصة لأهم النتائج التي أسفرت عنه وهي على النحو التالي:

- التبشير: حركة دينية سياسية استعمارية تسعى إلى تنصير المسلمين على وجه الخصوص، وغير المسلمين على وجه العموم.
- أن الهدف الأساسي للتبشر هو هدم الإسلام واقتلاعه من نفوس المسلمين، ثم تحويلهم إلى النصرانية؛ وذلك بتشويه صورة الإسلام ومقدسات المسلمين من القرآن والسنة، والطعن فيها، والقضاء عليها.
- للتبشير وسائل متعددة، منها: التعليم، الخدمات الطبية، الأعمال الاجتماعية، الإعلام، المؤتمرات التبشيرية.
- تنوع أساليب التبشير منها، المباشر وغير المباشر والشامل، والتغيير الاجتماعي والسياسي، الغزو المسلح، توحيد الجهود التبشيرية، التبني بالأطفال، طعن في الإسلام، إكثار ترجمة الكتاب المقدس، التعاون بين المبشرين والصهاينة، استمالة الناس واستغلال فقرهم، واستغلال المرأة بدعوى المطالبة بحقوقها.
- وجود تشابه كبير بين وسائل التبشير وأساليبه.
- سيطرة على المناهج الدراسية في أغلبية دول العالم الإسلامي على حسب رغبته، ونقل بعض الناس إلى النصرانية، وتفكيك وحدة الأمة الإسلامية وتشويه سمعة الإسلام.
- لمجابهة التبشير يحتاج إلى جهد كبير من شرائح المجتمع الإسلامي كافة، كل حسب قدرته ومكانه، باليقظة والمراقبة التامة، والدعوة إلى الله تعالى، بالعلم والعمل وتوعية المسلمين، وكذلك الاستكثار من إنشاء مشاريع ذات طابع إسلامي بحتة في جميع مجلات الحياة التعليمية والاجتماعية والطبية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، ثم تخصيص لجان تهتم بالتبشير وملامحه، والعناية بالشباب والشابات من خطر التبشير.

المصادر والمراجع

1. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتب الشرق الدولية، ط4، 1425هـ-2004م، ص/57-58، ومعجم اللغة العربي المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب-القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م، ص/206-207.
2. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ص/122.
3. ينظر: النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، محمد عثمان صالح، مكتبة ابن القيم، ط1، 1410هـ-1989م، ص/46-47.
4. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، مصدر سابق، ص/122.
5. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار، عبد الرحمن حبنكة حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق الطبعة السابعة، 1414هـ - 1994م، ص: 50.
6. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط3، 677/2.
7. المصدر نفسه، 679/2.

8. ينظر: التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، أحمد سعد الدين البساطي، دار أبو المجد، 1409هـ-1989م ص/227/226، الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية، محمد بن ناصر الشثري، دار الحبيب-الرياض، ط1، 1424هـ-2003م، ص/14.
9. ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط9، 1422هـ - 2001م، ص/168.
10. الموسوعة العربية العالمية 249/7.
11. التبشير والاستعمار، مصفى خالدي وعمر، مصدر سابق، ص/66.
12. التبشير والاستعمار، مصطفى خالدي وعمر فروخ، المكتبة العصرية صيدا-بيروت، ط3، ص/67.
13. المصدر نفسها، والصفحة نفسها.
14. أجنحة المكر الثلاثة، حبنكة بن حسن، مصدر سابق، ص/212
15. التبشير وأثره، أحمد سعد، مصدر سابق، ص/62
16. ينظر: الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1978م ونشرته دار MARC للنشر بعنوان: التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين) فريد د. أكورود، ص/532
17. ينظر: المصدر نفسه ص/212
18. ينظر: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد، دار الوعي العربي، ص58.
19. التبشير والاستعمار، مصطفى خالدي وعمر فروخ، مصدر سابق، ص/191
20. ينظر: الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية، الشتري، ص/20-22
21. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان، مصدر سابق، 684/2.
22. ينظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، على محمد جريشه وغيره، دار الاعتصام، ط3، 1399هـ -1979م، ص/32، التبشير وأثره، البساطي، مصدر سابق، ص/50-51
23. ينظر: التبشير وأثره، أحمد سعد، مصدر سابق، ص/55.
24. معركة التبشير والإسلام حركات التبشيرية والإسلام في آسيا وأفريقيا وأروبا، عبد الجليل شلبي، مؤسسة الخليج العربي، ط1، 1409هـ -1989م، ص/303.
25. ينظر: المستشرقون والمبشرون، إبراهيم خليل، مصدر سابق، ص/ 46.
26. ينظر: الغارة على العالم الإسلامي، لُ شاتليه، تر: محب الدين الخطيب، العصر الحديث، ط2، ص/121.
27. ينظر: التبشير والاستعمار، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص/194، ومعركة التبشير والإسلام، مصدر سابق، ص/305.
28. ينظر: معركة التبشير والإسلام، عبد الجليل، مصدر سابق، ص/305.
29. ينظر: المصدر نفسه، ص/205-206.
30. الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، 678/2.
31. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
32. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
33. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
34. ينظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص/50.
35. ينظر: التبشير وأثره، أحمد سعد، مصدر سابق، ص/62.
36. ينظر: أجنحة المكر الثلاثة، حبنكة حسن، مصدر سابق، ص/104-111
37. التبشير وأثره، أحمد سعد، مصدر سابق، ص/223.
38. عوامل ضعف المسلمين، سميح عاطف الدين، دار اللبناني-بيروت، ط7، 1405هـ-1985م، ص329.

39. التبشير والاستعمار، مصطفى خالدي وعمر فروخ، مصدر سابق، ص/253.
40. ينظر: معركة التبشير والإسلام، عبد الجليل، مصدر سابق، ص/283.
41. ينظر: عوامل ضعف المسلمين، مصدر سابق، ص/41-42.
42. ينظر: الموسوعة الإسلامية العربية 16 التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط1.
43. ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، 301/22.
44. ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف، مصدر سابق، ص/168.
45. ينظر: عوامل ضعف المسلمين، مصدر سابق، ص/41-42.
46. ينظر: التبشيرية وأثره في البلاد العربية الإسلامية، ص/172.
47. أجنحة المكر الثلاثة، حبنكة حسن، مصدر سابق، ص/315.
48. راجع الهجمة التنصيرية، محمد ناصر الشثري، دار الحبيب-الرياض، ط1، 1424هـ-2003م، ص/120-125، 149-150.
49. راجع التنصير في فلسطين في العصر الحديث، أمل عاطف محمد الخضري، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية -غزة، ص/238-249.
50. ينظر: (59) وسيلة لمقاومة التنصير، سلما العودة، موقع إسلام ويب: https://audio.islamweb.net/audio/idex